قرطبة في العصر الإسلامي

تاريخ وحضارة

تأليف
الدكتور أحمد فكري
أستاذ الحضارة والآثار الإسلامية السابق
بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٣

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت ٣٩٤٧٢ بالإسكندرية

قرطبة في العصر الاسلامي
الدكتور أحمد فكري
مؤسسة شباب الجامعة

946.8
FIK.K
004930K

D ٥,٠٠٠

١٤-٩٩

قرطبة في العصر الإسلامي

تاريخ وحضارة

تأليف

الدكتور أحمد فكري

أستاذ الحضارة والآثار الإسلامية السابق

بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

٩١٤ ١٩٢٣
Tarodi

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

ت : ٣٩٤١٢٠ الإسكندرية

1983

التعريف بمؤلف الكتاب

بقلم تلميذه أ٠ د٠ السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية

ورئيس قسم التاريخ والاثار بجامعة الاسكندرية

للبيئة أعظم الاثر فى تشكيل الافراد وتوجيههم ، وهى كالارض التى تغرس فيها البذور ، فاذا كانت الارض خصبة صالحة أخرجت نباتا طيبا كثير الثمرات ، أما اذا كانت قاحلة مجدبة فانها لا تقوى على الانبات ، ولا تخرج سوى الشوك ٠

وصاحب هذه السيرة عالم مصرى جليل قلما يجود الزمان بمثله ، أدى رسالته العلمية على أكمل وجه ، وأسس مدرسة علمية أنجبت من طلابه وتلاميذه رجالا أفذاذا نهلوا من علمه الغزير ، وأنتهجوا نهجه ، وارتسموا خطاه ، وخلدوا أثره وذكراه : ذلك هو العالم الكبير والباحث الاثرى الاسلامى المجدد الدكتور أحمد فكرى الذى قدر له أن يرسى فى مصر والعالم العربى أسسا راسخة الاصول لعلم الآثار الاسلامية ٠

ولد المرحوم الاستاذ الدكتور أحمد على فكرى بمدينة القاهرة حاضرة الديار المصرية فى الخامس عشر من أغسطس سنه ١٩٠٤ فى بيت علم وأدب وفضل وحسب ، ونشأ منذ نعومة أظافره فى بيئة علمية خالصة اذ كان أبوه الاستاذ على فكرى من كبار مفكرى مصر فى عصره وقد عمل أمينا أول لدار الكتب المصرية فترة طويلة من حياة ابنه ، وصنف عددا من التواليف فى الادب والتربية والاخلاق من بينها كتابه « القرآن ينبوع العلوم والعرفان » وكتاب « مرشد الآنام لمعرفة الحلال والحرام » وكتاب « دليل الانسان لمعرفة الحيوان » ٠

فى هذه البيئه العلمية الطيبة نشأ الدكتور أحمد فكرى وقد تشبع بما حوله من أجواء تعبق بالعلم والمعرفة وأتم دراسته الثانوية فى عام١٩٢٢ فحصل على البكالوريا المصرية ، فأوفده أبوه الى فرنسا ليتابع دراسته الجامعية فى جامعاتها ، وكانت أول ثمرة من ثمرات دراسته بفرنسا دبلوم الدراسات العليا فى التاريخ والجغرافية الذى حصل عليه من جامعة جرينوبل فى يونيو سنة ١٩٢٧ ، ثم استقر به المقام فى العاصمة باريس وهناك ألقى نفسه فى عالم يبهر بساطع الاضواء ، يموج بالباحثين والكتاب والفنانين والشعراء • فلم يتردد فى الاندماج والمشاركة ، واستغرق بشغف فى مجاله المتفتح ، ولم يلبث أن حصل على درجة الليسانس فى الآداب من جامعة باريس فى سنة ١٩٢٨ ، كما ظفر فى يونيو من نفس العام بدبلوم عال من مدرسة اللغات الشرقية بنفس الجامعة ، وعاد على أثر ذلك الى مصر ، فعين مدرسا للتاريخ بالمدرسة الابراهيمية الثانوية فى أول أكتوبر من السنة ذاتها • ولم يطل به المقام فى القاهرة فقد أوفدته وزارة المعارف فى مايو سنة ١٩٢٩ فى بعثة علمية الى فرنسا لاعداد درجة الدكتوراه فى الآداب من جامعة باريس ، فواصل فيها ما انقطع منذ عودته الى مصر ، وتفاعل من جديد فى هذا المجتمع الباريسى المتألق ، فأقبل بحماس منقطع النظير على التزود بالعلوم والفنون التى ترتبط بموضوعات رسالتيه للدكتوراه فى نفس الوقت الذى عكف فيه على تحصيل مادة بحثه لهذه الدرجة فالتحق بمدرسة اللوفر ، وحصل منها فى مايو ١٩٣٣ على دبلومين أحدهما دبلوم مدرسة اللوفر والثانى دبلوم ادارة المتاحف • ومن الجدير بالذكر أن الدكتور أحمد فكرى حقق كل ذلك دون أن يخل بخطته التى ارتسمها لانجاز رسالتيه للدكتوراه ، وموضوع الرسالة الرئيسية عن الفن الرومانسكى فى بلدة « بوى » والتأثيرات الاسلامية ، بينما خصص الرسالة

الصغرى لدراسة المسجد الجامع بالقيروان • وفى أثناء ذلك كان لا ينقطع عن التردد على الاثار الرومانسكية باقليم الاوفيرنى فى فرنسا ، وعلى الآثار الدينية والمدنية بقرطبة حاضرة الخلافة الاموية فى الاندلس ، وعلى الاثار الاسلامية التونسية • التى زارها مرتين منذ عام ١٩٣٢ بتوصيات تلقاها من وزارة الخارجية الفرنسية والسفارة الفرنسية بالقاهرة • وكان خلال هذه الزيارات التى تطول أحيانا الى عدة شهور يعكف على دراسة العناصر المعمارية والزخرفية فى هذه الآثار وتناولها بالدرس والبحث والتحليل

كما كان لا ينقطع فى كل مرة عن رسم المخططات والتصميمات لهذه الآثار وعناصرها فى صبر الباحثين وأناة المتخصصين من الفنانين والمهندسين ، كما سجل لها صورا كانت وثائق هامة استند عليها عندما تولى ترميم جامع سوسة الذى تعرض جانب كبير منه للتخريب أثناء الحرب العالمية الثانية • وقد توصل بفضل دراساته العميقة وتحليلاته الدقيقة لمختلف العناصر الزخرفية والمعمارية الى أفكار تعتبر ثورية فى تاريخ الفن الاسلامى ، كما اكتشف أن هذه الآثار التونسية بالذات معين لا ينضب من العناصر الفنية الاصيلة ، ومصدر خصب للتأثير على الفنون الخلافية فى الاندلس والفنين الرومانسكى والقوطى بفرنسا • وقد توج الدكتور أحمد فكرى هذه الجهود المضنية بالحصول على دكتوراه الدولة فى الآداب من جامعة باريس بمرتبة الشرف الاولى فى يوليو سنة ١٩٣٤ ، وعاد الى أرض الوطن ليؤدى واجبه حياله ، ويسخر علمه وأفكاره ومنهجه فى تكوين جيل رائد من الباحثين فى حقل الآثار الاسلامية ، فعين فى ٢٦ من ديسمبر سنة ١٩٣٤ مدرسا بمدرسة الفنون الجميلة العليا ، وظل يعمل بها زهاء خمس سنوات انتدب بعدها للعمل أمينا لدار الآثار العربية فى ١٤ من اكتوبر

سنة ١٩٣٩ • ولكن الدكتور أحمد فكرى الاستاذ الكبير العالم ، وصاحب الآراء العلمية المبتكرة ، والمصحح الجرىء لاخطاء كبار علماء الغـــرب المتخصصين فى الفنون والآثار ، لم تهدأ نفسه : فهو لم يحقق بعد أمنيته ، ولم يشبع رغبته التى كان يكتمها فى نفسه وبين حنايا ضلوعه ، لم يـــرض الدكتور فكرى أن يقضى زهرة عمره حبيسا فى مكتب داخل جدران متحف ،

وانما كان هواه أن يؤسس قسما فى الجامعة للآثار الاسلامية يحقق من خلاله ما يسعى جاهدا الى تحقيقه من دراسات مثالية ، وأن يكون مدرسة علمية من الباحثين يلقنهم دروسه وتجاربه ، ويبثهم علمه الغزير وفكـــره المتطور وآراءه ومنهجه ، وآثر أن ينطلق من داخل نطاق المتحف الى افاق الجامعة الرحبة الفسيحة حيث يمكنه أن ينفذ خطته وهدفه ، فيعمـــــل بالتدريس فى جامعة الاسكندرية الفتية التى كانت مناط الرجاء ومعقـــد الامل فى احياء التراث السكندرى العريق ، وينشىء بها قسما للآثـــار الاسلامية ، ويحقق بذلك أعز أمانيه • وعلى هذا النحو عين أستاذا مساعدا للتاريخ الاسلامى والآثار بكلية الآداب التابعة لجامعة « فاروق الاول » (الاسكندرية حاليا) فى أول سبتمبر من عام ١٩٤٤ • وكان أول تلاميذه فى هذا القسم الاستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد الذى خلف أستاذه فيما بعد فى شغل كرسى الحضارة الاسلامية بنفس قسم التاريخ • ومع ذلك فلم يكن الدكتور أحمد فكرى قد حقق بعد كل ما كان يستهدف تحقيقه فلم تزل فكرة تأسيس قسم للآثار الاسلامية تلـــح عليـــه وتسيطر على تفكيره وتدفعه الى السعى الى تنفيذه ، وساعده على ذلك وقوف عدد من الباحثين المستشرقين بقسم التاريخ والدراسات الاسلامية والآثار الى جواره يؤازرونه ويشجعونه نذكر منهم الاستاذ البروفيسور آلان ويس والعالم الاثرى اتيين كومب ، الى أن جاءت اللحظة التى ظفر فيها بموافقة

الجامعة على انشاء هذا القسم ، وتم ذلك فى صيف عام ١٩٤٦ عندمـــا اختير هو رئيسا لهذا القسم الجديد ، وكنت ــ مؤلف هذه السطور ــ أول ثمرة لهذا الغرس الذى أنبته أستاذى الراحل ، فتعهدنى منذ بدء تأسيس هذا القسم بعنايته ، وحبانى بحبه ورعايته ، ولم يضن على بنصـــح أو ارشاد أو توجيه ، وقدم لى عصارة تجاربه ، وخلاصة فكره •

وبدأت جامعة الاسكندرية تكتشف بالتدريج مواهبه وأستاذيته ، وساعد على ذلك تقارير علمية سجلها بعض كبار الزوار من العلمـــــاء الفرنسيين والاسبان نبهت المسؤولين فى الجامعة الى هذه الثروة العلمية الكبرى الممثلة فى شخص أستاذنا الكبير ، وبينت ما يحمله هؤلاء العلمـــاء لبحوثه من تقدير تام وادراك للوزن الحقيقى لعلمه ، ومن بين هؤلاء العلماء الاستاذ ليفى بروفنسال Lévi — Provençal أستـــاذ الحضـــارة الاسلامية بالسوربون ومدير معهد الدراسات الاسلامية بجامعة باريس ، ويكفى دليلا على المكانة العلمية التى كان يشغلها الدكتور أحمـــد فكرى فى العالم قراءة فقرات من التقرير الذى قدمه الاستاذ ليفى بروفنسال الى جامعة الاسكندرية فى ختام زيارته لجامعة الاسكندرية فى مارس ١٩٤٧ ، وهى فقرات ترفع الدكتور أحمد فكرى الى مصاف العلماء المتخصـــصين القلائل فى مجال الاثار الاسلامية فى العالم أجمع ، وفيما يلى بعض ما جاء بالتقرير :

"La Facutté des Lettres, de l'Université Farouk Ier a le privilége d'avoir parmi ses professeurs un savant archéologue qui fût autorisé à explorer ces lieux saints de Tunisie. En effet, le professeur Ahmed Fikry s'est consacré depuis dix huit ans à des études archéologiques sur l'Espagne et le Maghreb et notamment les monuments de la Tunisie. Malheuresement, les évènements de la guerre ont interrompu ses études dans ce domaine. Les travaux déjà publiés par